من سير
أعلام الشهداء
٦
سيف الأمة
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(سيفُ الأمّة)

هو الشّجاعُ المغوار، والبطلُ الفاتك، والجريءُ المقدام, من بلاد الحرمين، علم الله أنيّ للكتابة عن هذا الجبل الأشمّ لستُ بأهل، فسَلوا عنه جبال "الهندكوش" بأفغانستان، وقرى وأودية الشيشان، ثم دجلة والفرات تعرفون من الرّجل...

سيفُ الأمّة، أسدٌ غنيّ عن التعريف، خاصةً لقُدامى المجاهدين، فلقد عرفوه أمامهم في الصفوف، يقتحمُ الموت ويصارعُ الأهوال، يندفعُ حيث يُحجم الأبطال، يضحك عندما تنخلع قلوبُ الرّجال، ويتبختر على أعداء الله تعالى عندما تلتف الأقدام على بعضها فزعاً، كثرة العدو تزيدهم عنده ضعفاً, يراهم أحقر من الذّباب, وبناءهم أهون عليه من بيت العنكبوت، ما فزع القوم إلا وجدوه أمامهم، رآه العالم في شريط فلم جحيم الروس وهو يمسك باثنين من سلاح "البي كي سي"، يضرب بهما معاً في لقطة ستبقى ذكراها عالقة في الذاكرة ما دام سوقُ الجهاد ماضيا.

قال لنا هنا ببلاد الرافدين محرضاً لنا: "**مالكم؟ والله كنّا نهجُم بالشّيشان على معسكر كامل للعدوّ في ثلاثين مجاهداً، فندمّر ما شئنا من المدرّعات، ونقتل ونأسر ثم نحمل جرحانا وننسحب!**"، وقال لي مرة : "**أعطوني من خمسين إلى مائة مجاهد، أخرج لكم سجناء أبي غريب، والله إنّهم جبناء أتظنّون أنّهم يقاتلون ويصمدون**؟.

وإلى جانب شجاعته، كان عزيز النّفس، متعففاً إلى حدٍّ كبير، جاء مع زوجته الشيشانية وأولاده إلى أحد الدّول العربية، ولم يستطع الذهاب لبلاده -ببساطة- لأنّه مطلوبٌ ومعروف.

ولأنّه ظنّ أنه مُراقبٌ ومعروف، لم يتصل بأحد من إخوانه، ونفِذَ ما عنده من مال، حتى قيل لي أنّ صبيانه كانوا ينامون في أيام كثيرة يبكون من الجوع، وهو ابن الأكرمين، ومع هذا لم يطلب من أحدٍ مالاً، وكان يُظهر دائماً لمن يُقابله أنه حسنُ الحال، وأظنّه من الذين قال الله تعالى فيهم : **{يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}**، بقي على هذا الحال حتى رزقه الله من غير استشراف نفس .

سُئل الإمام أحمد: الرّجل لا يجد ما يأكل، يسأل الناس قال: لا، قالوا: إذا يموت جوعاً، قال: لا .. يرزقه الله.

سفّرَ الشهيد زوجتهُ وأولاده، وبقي يتربّصُ الفرصة للذّهاب إلى العراق، ليقوم بواجب النُّصرة والدّفع عن الدّين والعِرْض، وحينما حلّ فوجئ بحجم النّكاية التي تحدثها العمليات الاستشهادية قال: **"سبحان الله كلّ عمليّة غزوة في ذاتها"**، وقال: **"أحسنُ ما يُفيد و"يدوّخ" العدوّ هنا؛ العمليات الاستشهاديّة صوتها يصمّ الآذان، وشظاياها لا يمكن لأي قوةٍ تفاديها، ويسمعُ الدّنيا خبرُها"**.

وكان يستشهدُ دائماً بمقولةٍ لـ"رابين" عليه لعنة الله، حينما كان يتحدّث عن العمليات الاستشهادية في فلسطين حيث يقول:"إنك لا تستطيع أن تمنع رجلاً يريد أن يموت"، يحدثني أحدُ الإخوة، أنّهم جلسوا معه يوماً وقالوا له: إنّك صاحبُ خِبرة وتجربة، هيا تعال نشكّل مجموعة ونقوم بكذا وكذا، قال: **"أنا قررت أمراً لن أحيد عنه"**، فكانت فكرةُ العمليّة الاستشهادية قد ملأت عليه حياته.

بقي أن أقولَ أمراً ترددت فيه كثيراً وهو: أنّ سيفَ الأمّة قد علمني بصدقٍ، وأفهمني بحق معنى قوله تعالى **{فَفِرّوا إلى الله}**.

كانت عنده بعضُ الهنّات والصّغائر، فكان يراها كأنها جبل يوشكُ أن يطبق عليه، فيذهب بدينه ودُنياه، وذلك مصداقٌ لقول ابن مسعود رضي الله عنه، فيما خرّجه الترمذي :بأنّ

المؤمنَ إذا أذنبَ، فكأنه تحت صخرةٍ يخافُ أن تقع عليه فتقتله؛ ولِذا كان الرّجُل يفِرّ إلى الله و يقول: "**لا يُطهّرني إلا الاستشهاد في سبيل الله، أرجوكم لا تحرموني وعجّلوا لي في طلب لقاء ربي**".

طلبته بعضُ شهَوات الدّنيا، ففرّ إلى الله بأقصى ما يملك من قوّة، ولسانُ حاله يقول : يا ربّ أدركني إقبلني، لا تترُكني، رجائي فيك ألاّ أكونَ قد حُرمتُ رحمتك.

فتقبّله ربّه بقَبول حسنٍ ـ نحسبه كذلك ـ ورزقه رزقاً طيباً، حيثُ حَصَد في لحظةٍ واحدة المئاتِ[2] من جنود الكفر والردّة، بين قتيلٍ وجريح، وكانت عمليّتهُ جدُّ مباركة، ومن أكثر العمليات التي أوقعت خسائر في صفوف العدوّ، فقد نفّذ هجوماً استشهادياً على مركز شرطة "الاسكندرية" جنوب بغداد، بسيارة "بيك آب" على ظهرها قُرابة الطّنّ من المتفجرات العجينية C4، ولأنّ المركز كان محاطاً بحائطٍ من الأكياس التّرابية، تمّ وضع المادّة في سيارةٍ مرتفعه, بحيث إذا جاء الأخُ بجوار السّور، تكون المادّة بكاملها أعلى من الأكياس، وفي السّاعة الثّامنة صباحاً بالضبط، وحالَ تجمّع أعداءِ الله المرتدين، وبعضُ مجاميع الأمريكان، وقبل انطلاقهم لتنفيذ هجماتهم المسعورةِ على أهل السنّة، فجّر سيفُ الأمّة سيارته, وليعترف العدو بسقوط ستّين قتيلاً، وأكثر من مائة جريح، أسأل الله أن يتقبّل منه هذا العمل، وألا يحرمنا أجره آمين ...

وفي نفسي، وفي مثل خوف سيف قلت:

يا ربّ إنْ أخطـأتُ أو نسيـت	فالعفو منْك مؤمّل وقريبُ
يا ربّ منْ يملِكُ ستر عيوبه	وأنتَ لا يخفى عليك دبيبُ أنت الرّحيمُ فمن سواك يتوبُ
يا ربّ معترفا بسالِفِ ذنبه	والخطـبُ زاحفٌ عليّ رهيبُ
يا ربّ من لمقـاليدِ أموري	قلـبي يهـلك سـاعةً

هذه البـلايا أرهقتني لا تـدع
عِـقـدٌ تـداعى نـثْـرُه وتـناثـر
يا كاشفَ الضُّرّ رميت حملي

ويطيـبُ
أينـما حللـت حلّ عصيـبُ
عن كاهلي فاللّطف منك مجيبُ

وكتبــه
أبو إسماعيل المهاجر